**08**

**التكامل بين العلوم النقلية و العقلية و تطبيقاته فى التربية الإسلامية؛**

**دراسة فى فكر الحارث المحاسبي**

**The Integration between Naqli and Aqli Knowledge and its Application in Islamic Education; A study of Al Harith Al Muhasiby’s Thought**

**Fahim Khasani**

*Awardee of Indonesia Endowment Fund for Education (LPDP)*

*Dept of Theology & Islamic Philosophy, The World Islamic Science University (WISE)*

*Amman – The Hashemite Kingdom of Jordan*

*Maxmillian\_212@yahoo.com*

**ملخص البحث**

ان الحارث المحاسبي يعيش فى زمان افتخر اهل العقل بعقليته و أهل النقل بنقليته و لا يرى العلم سوى النقل. بل هذا الصراع يكون فى داخل بيته، حيث كان أبوه يميل الى فكر الاعتزال، بينما أمه من أتباع المحدثين. فلما رآي هذا الخلاف ولم يجد للخلاف ما تنتفع به الأمة، حاول الحارث المحاسبي ان ينصف فيهما، بل حاول ان يبين للناس ان العلاقة بين العقل و النقل علاقة التكامل و التداخل، لا التفارق و التباين، حيث قال: "العقل مضمن بالدليل، والدليل مضمن بالعقل. والعقل هو المستدل. والعيان والخبر هما علة الاستدلال و أصله". و طبق هذه الفكرة فى شتى ميادين العلوم، و هو عالم موسوعي تبحر فى عدة من العلوم، خاصة فى التربية و التزكية و السلوك، و الكلام، و التفسير. حتى و قد اعترف حجة الإسلام ابو حامد الغزالى انه تأثر كثيرا بفكرة المحاسبي. لهذا، فالقرأة فى أفكار الحارث المحاسبي بعين فاحصة فى غاية الأهمية. و هي تصور لنا حوارا علميا فى العلاقة بين العلوم العقلية و النقلية فى القرن الثاني، و تثبت ان التكامل هو المنهج الوسطي، و التربية الإسلامية لم تكن بمعزل عن هذا المنهج.

**الكلمات المفتاحية**: *المحاسبي، العلوم العقلية، العلوم النقلية، التربية الإسلامية.*

**التكامل بين العلوم النقلية و العقلية و تطبيقاته فى التربية الإسلامية؛ دراسة فى فكر الحارث المحاسبي**

**مقدمة**

الحمد لله ولي كل حمد و ثناء، والصلاة و السلام علي سيدنا محمد خاتم الرسل و الأنبياء، و علي آله و أصحابه و أتباعه نجوم الاهتداء و الاقتداء. و بعد،

ان التربية الإسلامية ركن من أركان الحضارة الإسلامية و عمدتها بحيث ان صلاح المجتمع الإسلامي يعتمد عليها. ان صلحت صلح المجتمع، و ان فسدت فلم نجد سوى الانحطاط الأخلاقي و الفساد الاجتماعي. لهذا، الاهتمام و الاعتناء بهذا العلم من واجبات كل مسلم. لا سيما فى عصرنا الراهن الذى ساد الفكر الغربي الدخيل فى شتى المجلات، خاصة فى ميدان التربية. و نتج عن ذلك تبنى البعض تلك الأفكار دون تمحيص و تفحيص.

من هذا المنطلق، أصبح من الواجب على العلماء و الباحثين المهتمين بالتربية الإسلامية ان يبذل أقصى جهدهم فى التماسك بالكتاب و السنة و مراجعة أقوال العلماء السابقين المتقنين و دراستها لأجل العودة الى الفكر الإسلامي الأصيل.

و من هؤلاء العلماء الحارث بن أسد المحاسبي. فقد أسهم اسهاما كبيرا فى اقامة الحضارة الإسلامية، حيث انه تبحر فى شتى ميادين العلوم، و كتب فيها و أفاد الجيل الذي بعد و استنار و أنار العالم بأفكار. رغم تبحره فى عدة من العلوم، فانه ركز على الناحية التربوية التى تهم البشرية و اصلاحها. و ذلك نتيجة الفساد الاجتماعي السائد فى عصره، فحاول ان يجد الحلول المناسبة للمشكلات، فوجدها فى اصلاح النفوس و تزكيتها.

اما سبب اختيارى لهذا العنوان لسببين. الأول يرجع الى شخصية المحاسبي نفسها. فهو فى الحقيقة من الشخصية المهمة فى تكوين المنهج الوسطي فى التفكير خاصة فى القرن الثالث الهجرى. و لكن قد يغفل الباحثون هذا العالم الكبير و قل من يقوم باعتناء مؤلفاته لسبب تاريخي مشوه. و سوف أقوم بشرحه و دراسته فى الترجمة.

و السبب الثانى يتعلق بخطورة الموضوع. اننا الآن فى حاجة الى النموذج الحي لتطبيق الفكر الوسطي، خاصة فى ما يتعلق بقضية التكامل بين العلوم عموما، و بين العلوم النقلية و العقلية على وجه الخصوص. ما زال الجدل حول قضية التوفيق بين العقل و النقل جدلا عنيفا يستحق بالبحث و الدراسة.

**منهج البحث**

سلك الباحث فى دراسته المنهج الوصفى و التحليلي، و ذلك بجمع أقوال المحاسبي من مؤلفاته ثم المصادر الموثقة الأخرى. ثم الوقوف على تحليلها و دراستها و استخلاص الأفكار التربوية من تلك النصوص ثم توظيفها فى خدمة موضوع البحث. و كذلك اعتمد الباحث على المراجع التربوية و التاريخية و غيرها ما تفيد فى موضوع البحث.

و قد اشتمل هذا البحث على مقدمة و ثلاثة مباحث و خاتمة تضمنت النتائج و التوصيات.

تضمن المبحث الأول التعريف بحياة المحاسبي العلمية و الفكرية و مواقفه تجاه الأفكار المنحرفة السائدة فى عصره. و تناول المبحث الثاني قضية التكامل بين العلوم النقلية و العقلية و مكانة العقل عند الحارث المحاسبي. اما المبحث الثالث تضمن اراء المحاسبي التربوية و ذلك بمثابة التطبيق على قضية التكامل بين العلوم العقلية و النقلية.

**المبحث الأول: الحارث المحاسبي و حياته العلمية**

**المطلب الأول: لمحة عن حياة المحاسبي**

الحارث بن أسد العنزي المحاسبي البغدادي البصري، هكذا يكتب علماء التراجم ترجمة المحاسبي في كتبهم. وهو يكني بأبي عبد الله. اشتهر الحارث المحاسبي ب " المحاسبي" لسبب ذكره التاج السبكي: يقال: انما سمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه.[[1]](#footnote-1)

قال المناوي: "سمي المحاسبي لكثرة محاسبته نفسه او لأنه كان له حصى يعدها ويحسبها وقت الذكر".[[2]](#footnote-2)

كان من اهل البصرة. ولد و نشاء بها ثم انتقل الى بغداد الى ان لقي ربه عز و جل.

بالنسبة لتاريخ مولده لم يوجد فيمن ترجم له من المتقدمين نص ثابت، الا أن د. حسين القوتلي ذكر انه ولد في عام 165 ه[[3]](#footnote-3) بينما د. هدى الشلالي ان مولده بين عامي 165ه – 170ه.[[4]](#footnote-4) و أغلب الظن انه ربما يكون استنتاجا منهما. و قد روي المحاسبي عن هشيم المتوفي سنة 183 ه و تتلمذ على محمد بن ادريس الشافعي (150 ه – 204 ه) في رحلته الثانية الى بغداد سنة 195 ه[[5]](#footnote-5) مما يعنى انه ولد قبل ذلك بسنين.

كان مولد المحاسبي في عصر الصراعات الفكرية الأول فى البصرة. فيها ظهر المعتزلة على يد واصل بن عطاء، تلميذ الحسن البصري. و فيها كوكبة من المحدثين و الفقهاء و الزهاد و عدد من المتكلمين فأنشاؤوا مدارس تدرس فيها أفكارهم. و مما يدل على ذلك ان المترجمين للمحاسبي يروون ان أباه أسد العنزي كان ممن يقول بالقدر بينما أمه كانت عدوا للقدرية.

ويشير الى ذلك ما ذكر السبكي: و قال ابو على بن خيران الفقيه: رأيت الحارث بباب الطاق، فى وسط الطريق، متعلقا بأبيه، و الناس اجتمعوا عليه يقول: أمي طلِّقها، فإنك على دين و هي على دين غيره.[[6]](#footnote-6)

ثم يقول السبكي: "و هذا من الحارث بناء على القول بتكفير القدرية، فلعله كان يقول ذلك".

وذكر السبكي أيضا رواية تشير الى أن اباه رافضيا:

وقال الجنيد: "مات ابو الحارث يوم مات وان الحارث لمحتاج الي دانق فضة، و خلف أبوه مالا كثيرا، و ما أخذه منه حبة واحدة. وقال: أهل ملتين لايتوارثان، وكان أبوه رافضيا".[[7]](#footnote-7)

بينما ذكر د هدى الشلالي فيما ذكره الخطيب البغدادي فى تاريخه ما يشير علي أن أباه كان واقفيا و قد حدد صاحب كتاب الوافي بالوافيات معنى كونه واقفيا حيث قال:

"كان أبوه واقفيا، أى يقف في القرآن فلا يقول هو مخلوق ولا غير مخلوق". اه[[8]](#footnote-8)

هذا الرأي يميل الي عدم انتسابه الى لمعتزلة، وهذا ما اطمأن اليه الباحث. لأن الحارث لم يكفر المعتزلة، و انما يعتبره من المبتدعين. و موقفه من ابيه واضح أورد المؤرخون في كتب التراجم. بخلاف د. حسين القوتلي فى دراسته لرسالتى المحاسبي "العقل و فهم القرآن"، فإنه يوافق مع رأي نللينو في كتابه "بحوث في المعتزلة". وهو يميل الى حمل القدرية الي المعتزلة بدليل ان أباه كان علي شيء من الثقافة. والقدرية (اى المعتزلة في زعمهم) كان من المثقفين. و أطلق عليهم لشبههم فى هذه الناحية بمعبد الجهني و مدرسته الأولى.[[9]](#footnote-9) فالواضح ان الحارث لايوافق و رأي أبيه بل هو يميل الى أمه.

نشاء الحارث المحاسبي فى هذه البيئة الفكرية، ميله الى أمه يدفعه الى الالتحاق بحلقة المحدثين والانصراف عن المدرسة العقلانية مثل المعتزلة و غيرهم. فبدأ يقصد البغداد و يتعلم فى وقت مبكر على يد المحدثين وينهل العلم عن رجال الاسناد يظهر ذلك من روايته عن شيخه محمد بن حميد اليشكري المتوفي 182 ه من تلاميذ سفيان الثوري، و أخذ عن بشير بن هشيم المتوفي 183 ه.

وكذلك روى المحاسبي عن يزيد بن هارون و طبقته وكذلك عن وكيع بن جراح، ربما زار وكيعا بالكوفة لأنه كان بالكوفة. بل وقد تتلمذ و روي عن الشافعي فى رحلته الثانية الى بغداد سنة 195ه كما ذكره ابو منصور البغدادي في أصول الدين[[10]](#footnote-10) وذكر السبكي القول:

"كان امام المسلمين فى الفقه والتصوف والحديث و الكلام وكتبه فى هذه العلوم اصول من يصنف فيها، واليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية".

ثم قال: "لو لم يكن فى أصحاب الشافعي فى الفقه و الأصول و القياس والزهد و الورع والمعرفة الا الحارث المحاسبي لكان مغابرا في وجوه مخالفيه، والحمد لله علي ذلك".[[11]](#footnote-11)

وكذلك روي عن عباد بن العوام و علي بن عاصم و سليمان بن داود الطياليسي و الفضل بن دكين و ابى بكر بن ابي شيبة.

وكذلك روي عن عبد الله بن بكر و يحي بن بكير و حججين بن المثنى. وكان أكثر مروياته فى "فهم القرآن" أخذ الحارث عن أبى عبيد القاسم بن السلام (صاحب غريب الحديث) و الحجاج بن حماد بن سلمة وأبي الفضل و سنيد بن داود وشريح بن يونس وغير ذلك. اما كتاب "العقل" فانه يروي عن عفان البصري.

وقد روي عنه غير قليل منهم: الجنيد بن محمد الصوفي الشهير المتوفى 298 ه و أحمد بن محمد بن مسروق المتوفى 299 ه و أحمد بن القاسم بن نصر بن زياد المتوفى 320 ه و أحمد بن عبد الله بن ميمون الخواص و احمد بن خالد الآجري المتوفى 282 ه و محمد بن يعقوب بن الفرج المتوفى 280 ه و القاسم بن الحسن المتوفى 282 ه وغيرهم.

اما من الناحية المالية فقد أشارت الروايات الى ان أباه ترك مبلغا هائلا من المال. ذكر القشيري انه ورث من ابيه سبعين الف درهم فلم يأخذ منها شيئا. قيل لأن أباه ممن قال بالقدر، فرأى من الورع ان لايأخذ من ميراثه شيئا لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: لايتوارث أهل ملتين شيئا.[[12]](#footnote-12)

فنشأ فقيرا الى ان لقي ربه جل شأنه. وقد روى مسروق انه: "مات الحارث المحاسبي وهو محتاج الى درهم، وخلف أبوه ضياعا عقارا فلم يأخذ منه شيئا".[[13]](#footnote-13)

هذا هو الحارث المحاسبي العالم الصوفي الذي لايأخذ الا من حلال تورعا ولا يخاف من الفقر.

**المطلب الثاني: حياته العلمية و الفكرية**

كان الحارث المحاسبي ناسكا عابدا، و صوفيا زاهدا، وفقيها متكلما، و محدثا راويا له تأثير في الجيل الذى بعده و العلم الذى اعتنى به. فقد عاش وهو يشهد الصراعات الفكرية بين أرباب المذاهب: المعتزلة و الشيعة و القدرية و المحدثين. فهذا له أثره في حياة المحاسبي العلمية. فبدأ يتفكر وينظر للوصول الى الحقيقة بعيدا عن التعصب المذهبي. فرأى من الخير ان يلتمس حكم رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلومه حيث اتجه نحو مدرسة اهل الحديث فتعلم منهم الفنون العديدة و العلوم المتنوعة.

أخذ علوم اللغة و علوم القرآن عن ابى عبيد القاسم بن سلام و الدليل على هذا ان رواياته عن أبى عبيد تدور حول البحوث القرآنية لها صلتها باللغة، كمفهوم العام و الخاص و الناسخ و المنسوخ وغير ذلك.[[14]](#footnote-14) كأنه أدرك منذ أمد بعيد ان النزاع الفكري في عصره يدور حول القرآن خاصة فيما يتعلق باللغة و كيفية فهم كلام العرب.

سيمات المحدثين ظهرت فى عدة كتبه. فما من قول الا وهو يسرد أسماء الرجال كما سلك المحدثون. مع ذلك، كان الحارث واعظا مبكيا أوتي بفصاحة اللسان و براعة البيان حتى اذا حدث احدا عن الشيء ترهيبا او ترغيبا جعله كأنه يراه رأي العين و يحس به احساس المباشر ويقنعه بالحجة. كتب الحارث كتابا عن مشاهد القيامة و الحياة الأخراوية سماه "التوهم". صور القيامة و الحساب و الميزان و الجنة و النار كأنه يرى رأي العين. هذا الكتاب –كما ذكرالمترجمون- فريد في نوعه واسلوبه. و هذا إن دل على شيئ فإنه يدل على فصاحته وبلاغته فى التعبير و ملكته اللغوية.

فى مجال الفقه، ذكر التاج السبكي فى طبقة الشافعية الأوائل، بل ذكر انه أخذ المذهب مباشرة عن محمد بن ادريس الشافعي كما أسلفنا. كما اطلع على مذهب أهل الرأي من الأحناف الذين كانوا قضاة بغداد والأقاليم وقتئذ. فقد روي عن أبي يوسف أكبر تلاميذ أبي حنيفة النعمان. وأخذ ايضا عن مذهب مالك بن أنس.

اما من ناحية التصوف فلا شك انه استاذ البغداديين في هذا الفن. تخرج فى مدرسة الحارث أكابر الصوفية مثا الجنيد البغدادي، أحمد بن الحسن الصوفي، إسماعيل بن اسحاق السراج و غيرهم. فقد اطلع على المذاهب الصوفية من أمثال الحسن البصري (110 ه)، و إبراهيم بن أدهم (162 ه)، و داود الطائي (166 ه)، و والفضيل بن عياض (187 ه). و على معاصريه أمثال شقبق البلخي (195 ه)، ومعروف الكرخي (200 ه)، و بشر الحافي (227 ه)، و ذى النون المصري (245 ه)، و السري السقطي (251 ه).

مهما كان اطلاعه لأقوال السابقين و المعاصرين من الصوفية فإنه بنى طريقة غير طريقة غيرهم، حيث اصطبغ تصوفه بعلم الكلام و ظهر بمنهج جديد. كان تصوف المحاسبي لم يسلك مسلك غلاة الصوفية، بل يدعو الي التمسك بالكتاب والسنة والشرع الشريف. لذلك نقد المحاسبي انحرافات غلاة الصوفية في كتبه. يتركز تصوفه على أعمال القلب و خطرات النفس، ومسائل تتعلق ببواطن الأعمال و مقاصد الإنسان فيها كالنية و التوكل والمراقبة والعجب والرياء و الحسد وغيرها و أطال الكلام في كتبه.

و في مجال علم الكلام، كان المحاسبي من أبرز أعلام الكلابية، و اينما ذكر ابن كلاب، صاحب المذهب، ذكر المحاسبي، و ليس العكس. اذ انه تميز بتبحره في علوم شتى و يعتبر من أبرز الشخصية البارزين في هذه العلوم. بناء علي ذلك ألفت كتب في ترجمة سيرته و في تحقيق بعض كتبه.[[15]](#footnote-15)

تميزت المدرسة الكلابية بالرد على الفرق و المذاهب الكلامية من خلال أعلامها. ظهر ذلك فى مناظرتهم و كتبهم. وقد ردوا علي الشيعة و الخوارج و غلاة الصوفية و المعتزلة. و كان المعتزلة حاول الإستفادة من قوة السلطان في محاولته الردود علي مخالفيهم كالحارث المحاسبي و ابن كلاب و أعلام من اهل الحديث كما فى محنة أحمد بن حنبل. لشيوع فكرة الاعتزال حين ذاك و سيطرة مذهبهم ألف المحاسبي تأليفا خاصا يرد على أفكار المعتزلة: كتاب العقل و فهم القرآن. وهذا الذي نحن بصدد البحث.

هذا الإطلاع الواسع لأرآء معاصريه فى مختلف الفنون و العلوم جعل المحاسبي يقف من هذه الأرآء موقف الناقد الذى لا يقبل الرأي الا اذا ظهرت حجته. و بعد مسيرته الفكرية الطويلة فى بيئة المحدثين و الفقهاء و الصوفية و المتكلمين و الظروف السياسية المؤسفة التي مرت بها بغداد و قضية محنة خلق القرآن وهجمة الفرس و تسلحه بفكرة الإلحاد، أخذ يفكر في النموذج الأمثل في التدين. ذكر ذلك في مقدمة "الوصايا" انه نظر الي زمانه بمنظار حديثي الرسول صلي الله عليه و سلم:

"ستفترق أمتي علي اثنتين و سبعين فرقة كلها في النار الا واحدة".[[16]](#footnote-16)

"بداء الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بداء، فطوبي للغرباء".[[17]](#footnote-17)

فهو أراد ان يبحث فى بدء الأمر عن الفرقة الناجية الغريبة بين الفرق العديدة المتصارعة. فاعترف بعسر ذلك في وقت تكلم فيه الناس في أمر لايعلمه، او تكلم قصدا للشهرة او طلب الجاه من عند السلطان، هذا من جانب. و بجانب آخر، تدبر المحاسبي فى أمر الأمة و نظر فى مذاهبها و أقاويل علمائها، فرأى ما رأى من الاختلاف كأنه بحر عميق غرق فيه ناس كثيرون، و لم ينج منه الا نفر قليل.[[18]](#footnote-18) و من العجيب ان كل صنف منهم يرون ان النجاة لمن سلك مسلكهم، و ان المهالك لمن خالفهم.

فى مثل هذا الزمان الصعب رأى المحاسبي ان الرجوع الى هدى المهتدين و الاسترشاد بالعلم و إعمال الفكر من أهم المهمات للوصول الى الحقيقة بعيدا عن الأرآء السطحية. فتدبر كلام الرحمن و تأمل أحاديث سيد الأنام و إجماع الأمة فوعى الحارث ان اتباع الهوى يعمي عن الرشد و يضل عن الحق و يطيل المكث في الأعمى.[[19]](#footnote-19)

بناء على هذا المنطلق فإن المحاسبي أخذ يؤلف كتابا فى أحوال النفس و الروح و عيوبها و كيفية تزكيتها. كانت مؤلفاته فى هذا الفن تعتبر أصولا لكل من صنف فيها بعده مثل أبي طالب المكي فى قوت القلوب ثم تابعه الغزالي فى كتابه إحياء علوم الدين.

قال محمد زاهد الكوثري: " لقد كان اثر الإمام المحاسبي على الإمام الغزالي كبيرا، لقد تبطن الإمام الغزالي كتاب الرعاية في كتابه الإحياء".[[20]](#footnote-20)

وأقر بذلك الغزالي حيث قال فى الإحياء: "المحاسبي حبر الأمة في علم المعاملة، وله السبق على جميع الباحثين فى عيوب النفس و آفات الأعمال و أغوار العبادات، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ".[[21]](#footnote-21)

جدير بالذكر ان ما فعله المحاسبي يعد اصلاحا - او الإحياء فى تعبير الغزالي- للأمة ظاهرا و باطنا. فالإصلاح الظاهري هنا يتبلور فى محاولته الرد على الأفكار البعيدة عن الصواب و أقوال المبتدعين مثل ما كتبه ردا على نظرية العقل و بعض أراء المعتزلة، و كذلك الخوارج و الشيعة وغيرهم.

اما الإصلاح الباطني فيتبلور فى كتاباته و مواعظه حول أحوال النفس و الروح و عيوبها و تزكيتها. اذ ان الأمراض القلبية قد تكون أشد خطرا علي الأمة حتي سمي رسول الله صلي الله عليه وسلم جهاد النفس جهادا أكبر، بينما قتال الكفار المعاندين جهادا أصغر.

روي عن جابر رضي الله عنه قال: قدم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قوم غزاة، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر الي الجهاد الأكبر. فقالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال مجاهدة العبد هواه.[[22]](#footnote-22)

**المطلب الثالث: بين المحاسبي و أحمد بن حنبل**

عاش المحاسبي فى أواخر القرن الثاني و أوائل القرن الثالث. وذلك زمان كثر فيه الاشتغال بعلوم الحديث رواية و كتابة وارتحالا فى طلبه وتحصيله. فعلوم الحديث حينذاك عني بها العلماء و طلبة العلم عناية فائقة حيث كانت رحلتهم للتحمل او طلب الحديث تقطع ماسافة كبيرة وهم حريصون على اللقاء تثبتا لصحة خبر واحد. فلها منهجها فى التحمل والأداء ولها أسلوبها المتميز. و كان لهؤلاء المحدثين و الرواة نظرة ناقدة حادة لكل من تحول عن طريقهم، فقيها كان او مذكِّرا او متكلما.[[23]](#footnote-23)

من هذا القبيل نال المحاسبي انتقادا شديدا من معاصريه من المحدثين، مع انه اخذ العلم على أيديهم و ألف بأسلوبهم في أغلب مصنفاته كما أسلفنا. اذهم يرون ان العلم رواية الحديث سندا و متنا لا بحثا وفقها. ويرون إعمال الرأي فى فهم الأثر خروجا عليه. فاذا بلغهم عن عالم انه تكلم فى مسألة باحثا مجتهدا، او متكلما قال فى صفة من صفات الله قولا، مذكر عن حال النفس كاشفا منقبا ثارت لذلك حافظتهم و نقموا عليه ما صنع.[[24]](#footnote-24) وأشد من نقد على المحاسبي من المحدثين هو كبيرهم وشيخ الرواة فى عصره الا وهو أحمد بن حنبل، مؤسس مذهب الحنابلة.

لذلك نستطيع ان نقول ان هناك طائفتين كبيرتين مغايرتين فى منهج التفكير و مختلفتين فى اسلوب التعبير. أولاهما تفضل العقل وتمجده وهم المعتزلة، والأخري لاتري العلم الا النقل وهم المحدثون. فالمعتزلة لها سلطتها السياسية حيث جعلها الخليفة المأمون مذهبا للدولة، بينما المحدثون لهم أتباعهم وتلاميذهم المنتشرين في انحاء بغداد بل و خارجها، فلهم سلطتهم الشعبية. ثم دار الحوار بينهما طلبا للوصول الى الحقيقة، ثم اشتد، فنبتت بذور التعصب المذهبي فى قلوب كل من أتباع طائفتين. فالكل يرى الصواب فى مذهبهم فأصبح الحوار شجارا وظهر أسلوب التخطيء و التبديع من الطرفين. ثم نشأت الفتنة شيئا فشيئا، و بلغ الأمر أسواء ما يكون حين استعانت المعتزلة بالسلطة السياسية حيث حمل الناس- بما فيهم من المحدثين- على القول بخلق القرآن. فانتشرت الفتنة و عمت المحنة. وفى سنة 219 ه ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن فأبى، و فى سنة 231 ه قُتل أحمد بن نصر الخزاعي المحدث فى محنة خلق القرآن.[[25]](#footnote-25)

فى هذا الجو الذى اشتبهت فيه الأمور و عمت فيه الفتن، كتب المحاسبي عن أسرار النفس و عيوبها و تزكيتها ثم حث الناس على المحاسبة حتى عرفوا عيوبهم النفسية فيزيلونها خشية من الوقوع فى الفتنة للمرة الثانية. و مع ذلك أنه أراد ان يبدي رأيه حول القضية التي تثير الجدال بين الطائفتين. لا شك ان الإنصاف من أصعب الموقف لكنه مطلوب فى مثل هذه الحالة، وقد حاول ان ينصف. و أشار الى ذلك ما كتبه المحاسبي فى مائية العقل حيث قال:

"العقل مضمن بالدليل، والدليل مضمن بالعقل. و العقل هو المستدل. والعيان والخبر هما علة الاستدلال و أصله ".[[26]](#footnote-26)

ظهور هذا الكلام فى حالة الصراع الفكري بين المذهب العقلي و المذهب النقلي بمثابة النقد للمنهج المتبع لدي طائفتين. فليس من الصحيح الاعتماد على العقل فحسب، كما ان المعانى الكامنة فى المنقول لا يفهمها الناس فهما سليما الا من خلال منطق سليم، و هنا يأتى دور العقل. هذا من خلال المنهج، اما الأمور النفسية التي ازداد الصراع بها عنيفا فقد أشار الى قوله:

"والحب و البغض اذا أفرطا أنقصا الاعتدال، و أفسدا العقل، وصورا الباطل فى صورة الحق".

"فأهل الشر لا يفرقون بين أئمتهم كما لا يفرقون بين امامهم".

"وان الحق فى كل أمر بين، و الباطل فى كل حال داحض".

هذه هي لمحة قصيرة عن موقف المحاسبي نحو الصراع الفكري و الفتنة الواقعة في عصره.

اما بالنسة الي الفرق المبتدعة فله موقف خاص حيث نقد أفكارهم مستدلا بآي القرآن الكريم و ما صح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم. فى هذا المجال أخذ المحاسبي الدخول فى قضية علم الكلام كمسألة صفة الله تعالي و خلق القرآن و القدر و الوعد و الوعيد و ما أشبه ذلك. فمن المعلوم ان الرد المقنع يكون فى ان يتسلح بسلاح العدو. و قد أخذ المحاسبي طريقتهم فى التعبير حتى يكون الرد مقنعا. ورأى انه فى حاجة ماسة لمثل هذا النقد لأن الفتن قد شاعت والأرآء الفاسدة قد عمت بين الناس. فمن الضروري ان يبين مثل هذه البدعة تجنبا عن المفاسد و سعيا للوصول الى الصواب.

ولكن الأمر لم يكن سهلا. فالصراع العنيف بين طائفتين و المحنة التي تحملها المحدثون يجرح قلوبهم ويرفضون كل ما له الصلة بالمعتزلة، خاصة فيما يتعلق بالمباحث الكلامية. و فى مقدمتهم أحمد بن حنبل. انه كان شديد النكير على من تكلم فى شيء من الكلام خوفا ان يقع فيما لا ينبغى. و السكوت فى مثل هذه الحال عندهم أولى ما لم تدع اليه الحاجة. و الكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة. و قد تكلم المحاسبي فى شيء من مسائل الكلام.[[27]](#footnote-27) فنال ما نال من الذم و النقم و الهجر. و الناس حينئذ يقفون وراء المحدثين حيث يتبعون شيخهم وهو امام أحمد بن حنبل. حتى قيل ان الحارث اختفى منقطعا عن الناس متفرغا للعبادة في دار ببغداد بعد تحذير بعض الأئمة عن حضور مجلسه. الا انه فقد بقي من بقي ملازما له و ينقل عنه مواعظه مثل الجنيد البغدادي و احمد بن محمد بن مسروق و غيرهما. و روي انه مات ببغداد في عزلته و لم يصل عليه الا اربعة نفر. الا أن الذهبي فى الميزان له تعليق عن هذه الرواية فيقول: فمستبعد صحته و ثبوته. ثم قال: هذه حكاية منقطعة.[[28]](#footnote-28) و ذلك كانت فى سنة 243 ه رحمه الله رحمة واسعة.

لعلنا نلاحظ ان المحدثين لا يفرقون بين من مارس علم الكلام ردا للمعتزلة او من مارس كواحد منهم إقرارا و نصرة للمعتزلة. فهم يحرمون علم الكلام و الجدل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم و الصحابة لم يمارسوا شيئا منه، بل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهي عن الحديث في القدر.

ويروى ايضا ان هجر المحدثين من الحنابلة وذمهم للمحاسبي بسبب تصوفه كلامه عن الخطرات و الوساوس و الأمور النفسية، مستدلين على ان فى مثل هذا الكلام لا يستند الي ادلة صحيحة. و قال ابن كثير يبين سبب كره أحمد بن حنبل للمحاسبي:

"بل انما كره ذلك لأن في كلامهم من التقشف و شدة السلوك التي لم يرد بها الشرع، و التدقيق و المحاسبة البليغة ما لم يأت بها أمر ".[[29]](#footnote-29)

نلاحظ فى قضية التصوف الذى كتبه الحارث، انه لم يقل مثل هذا القول الا المحدثون من الحنابلة كالذهبي و ابن الجوزي و ابن التيمية و ابن كثير و ابي زرعة الرازي، حيث ان موقفهم من الصوفية معروف لدى الجميع.

اما المحدثون من الأشاعرة مثل البيهقي فله موقف آخر. فهو يرى ان أحمد بن حنبل كره المحاسبي لما كان عنده شيء من الكلام بغض النظر عن كونه زاهدا.

يقول البيهقي: "يحتمل ان أحمد كره له صحبتهم لأن الحارث بن أسد و ان كان زاهدا فانه كان عنده شيء من علم الكلام، و كان أحمد يكره ذلك. أو كره صحبتهم من أجل انه لا يطيق سلوك طريقتهم و ما هم عليه من الزهد و الورع". أه و من العجيب ان ابن كثير ذكر هذا القول فى البداية.

ولكن على كل حال فإمام أحمد شخصية كبيرة له قيمته كما ان المحاسبي شخصية كبيرة أيضا له قيمته. و لنا ان لا نتقول على الرجال. رحم الله التاج السبكي حيث أنصح كل من قرأ ما كان بين الأئمة الماضيين ان يسلك سبيل الأدب مع هؤلاء. وهم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل، ربما لم نفهم بعضها. فليس لنا الا التراضى عنهم و السكوت عما جرى بينهم، كما يفعل فيما جرى بين الصحابة عنهم.[[30]](#footnote-30)

و بعد ذلك أورد السبكي قصة طويلة عن سماع أحمد بن حنبل أقوال المحاسبي فى مجلس له، وهو فى مكان حيث لا يرى المحاسبي أحمد. جاء المحاسبي و معه أتباعه و تلاميذه، و سأل سائل عن مسألة، فأخذ المحاسبي فى الكلام. فمنهم من بكى و منهم من يحن و يحزن بسبب كلامه. فاذا بكى أحمد بن حنبل بعد سماعه لكلام المحاسبي ثم قال:

" ما أعلم أنى رأيت مثل هؤلاء القوم، و لاسمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل. و مع هذا فلا أرى لك صحبتهم. ثم قام و خرج". و في رواية أخرى قال: "لا أنكر من هذا شيئا".[[31]](#footnote-31)

بناء على هذه الرواية، قد تبين أن هجر أحمد للمحاسبي من أجل تكلمه فى علم الكلام فقط. و اما مسلكه العبادي و ميله الى التصوف فلا شيء فيه. كيف و قد أثنى عليه أحمد بن حنبل نفسه و ما انكر من ذلك شيئا.

و قد نقدوا المحاسبي اتخاذه الأحاديث الضعيفة فى بناء أصل كلامه فى النفس. و قد كان ابو بكر بن العربي مع اجلاله للمحاسبي و اعتزازه به و ثنائه عليه، ما وسعه الا ان ينقد فى هذه الناحية. فيورد حديثا رواه عطية السعدي فى الترغيب و الترهيب، و أطال القول فيه المحاسبي. ثم يقول ابن العربي:

"لولا تعلقه بأحاديث ضعاف و بناؤه الأصول عليها. فان وقف عليه علماء الحديث سخروا من ذلك و هزئوا به. مع أنه لقي أحبار الدنيا في الحديث كابن أبي شيبة و غيره".

ثم علق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فى هذه المسألة بذكر مقال لإمام أحمد بن حنبل فى العمل بالحديث الضعيف فى الترغيب و الترهيب.

قال إمام أحمد بن حنبل: "يستجيز لين الحديث فى أمر الورع".

وقال الشيخ عبد الفتاح: "رضي الله عن البخاري الذى لم ير ان يتعلق القلب و لم يرتبط الدين الا بالصحيح، وبه نقول. ولو ملنا الي مذهب أحمد فلايكون التعلق بلين الحديث الا فى المواعظ التى ترقق القلوب، فأما فى الأصول فلا سبيل الى ذلك".[[32]](#footnote-32)

**المطلب الرابع: أقواله و مؤلفاته**

من أقواله:

* لكل شيئ جوهر، و جوهر الإنسان عقله، و جوهر العقل التوفيق.
* حسن الخلق: احتمال الأذى، و قلة الغضب، و بسط الوجه، و طيب الكلام.
* كل زاهد زهده على قدر معرفته، و معرفته على قدر عقله، و عقله على قدر قوة إيمانه.
* من صحح باطنه بالمراقبة و الإخلاص، زين الله ظاهره بالمجاهدة و اتباع السنة.
* صفة العبودية الا ترى لنفسك ملكا، و تعلم انك لا تملك فى نفسك ضرا و لا نفعا.

اما مؤلفاته فقد نقل عن السبكي ان مؤلفاته تبلغ مائتى كتاب،[[33]](#footnote-33) أغلبها فى السلوك و الزهد و التصوف، و كثير منها فى أصول الدين و الردود على المخالفين كالمعتزلة و الشيعة و القدرية، و بعضها فى الفقه و الأحكام.

اما الذى عرفت اسماؤه و وجد حتي الآن نذكرها ما يلي:[[34]](#footnote-34)

* الرعاية لحقوق الله – التوهم – رسالة المسترشدين
* رسالة الوصايا – اداب النفوس – شرح المعرفة
* بدء من أناب اليه – المسائل في الزهد و غيره – مائية العقل
* فهم القرآن – مسائل في مسائل القلوب و الجوارح – المكاسب و الورع و الشبهة
* البعث و النشور – كتاب في الدماء – كتاب في التفكر و الإعتبار
* رسالة المراقبة – كتاب العظمة – القصد و الرجوع الى الله
* كتاب النصائح – كتاب الرضا – مختصر كتاب فهم الصلاة
* فهم السنن – التنبيه على أعمال القلوب فى الدلالة على و حدنية الله

\*\*\*

**المبحث الثاني: التكامل بين العلوم العقلية و النقلية عند المحاسبي**

**المطلب الأول: موقف المحاسبي من الجدل بين اهل العقل و النقل**

ان هناك طائفتين تسطرعان فى عصر المحاسبي، المعتزلة و المحدثون من اهل السنة و رائدهم أحمد بن حنبل. و هذا الصراع طبيعي يوجد فى كل دين من الأديان.

انه الصراع الأبدي بين القائلين: ان الدين نص تفسره أسباب النزول و اللغة و الرواية، و بين القائلين ان الدين نص يفسره العقل و يوضحه. و الفريق الأخير يرى ان للعقل قدرة على معرفة الحسن و القبح لذاته. اما النص فليس الا مؤيدا لما جاء به العقل و موضحا له.

حينذاك افتخر اهل العقل بنقليته و اهل النقل بنقليته بل و لم ير العلم الا النقل. اذن هناك افراط و تفريط. و ظن الناس ان الانسان إما نصي أو عقلي، ولا يوجد فريق ثالث، الا بعد ان أعلن المحاسبي.

لقد هاجم المحاسبي المعتزلة هجوما عنيفا لما فى أفكاره ما لا يتناسب مع مقام العبودية. وهي مقصد ديني عظيم.

قال تعالى: ] الذاريات: 56 [

رآى المحاسبي ان نزعتهم تحكّم العقل فى القرآن و السنة و تجعله يسيطر على النص. ولو كان الأمر كذلك لكان القائد فى الحقيقة العقل لا الوحي.

ان المعتزلة تغلو حين تكلم عن العقل حيث قالوا ان العقل وحده كاف في مسألة التشريع. طبعا، هذا الكلام يثير جدالا بين العلماء الذين لهم باع فى علم النقل. كان الجدال طويلا حتى يكاد ليس له نهاية. فكتب المحاسبي كتابه مائية العقل خصما للخلاف و طلبا للحقيقة. و فى هذا المجال رد المحاسبي نظرية العقل عند المعتزلة التى تنبنى عليها معظم أفكارهم.

و من العجيب انه قد جرى الخلاف بين ابى الهذيل العلاف المتوفى سنة 235 ه و أبى على الجبائي المتوفى سنة 303 ه فى تحديد معنى العقل مع تفضيلهما العقل و تمجيدهما له.

فأبو الهذيل رأى انه: "منه علم الاضطرار الذى يفرق به بينه و بين نفسه و بين الحمار و بين الأرض و ما أشبه ذلك، و منه القوة على اكتساب العلم".[[35]](#footnote-35)

العقل عند العلاف القوة على اكتساب العلم. فلم يرض الجبائي بهذ الكلام. فالقوة عنده لا يمكن ان يسمى عقلا. اذ ان الجبائي يرى عدم تكليف الإنسان قبل تكامل عقله. فالقوة توجد فى الإنسان منذ ان يولد. رد الجبائي يستند الى الأساس اللغوي – فيقال عقل عقلا- الذى كان له دور بارز فى مدرسته. و بذلك يكون العقل فعلا و ليس قوة، و العقل عنده هو العلم.[[36]](#footnote-36)

و قد تبع هذا الرأي أعلام المعتزلة بعده مثل القاضى عبد الجبار المتوفى سنة 415 ه حيث قال:

"اعلم ان العقل هو جملة من العلوم المخصوصة، متى حصلت فى المكلف صح منه النظر و الاستدلال و القيام بأداء ما كلف".[[37]](#footnote-37)

من هنا يتضح ان ميل المعتزلة الى النزعة العقلية يبداء من وجهة نظرهم حول مفهوم العقل. فالعقل عندهم العلم، لذلك قالوا ان العقل وحده يكفى فى محاولة الوصول الى الخير و الشر. و الأدلة النقلية بالنسبة للعقل تأتي تقوية له.

صحيح ان المعتزلة قد قاموا بدور كبير بالرد على خصوم الإسلام و أعدائه. و ذلك من اسهامات المعتزلة فى خدمة الدين. و لكن العقل محدود و لا يمكن ان يتصور خارج حدوده. فلا يمكن للعقل وحده ان يتسلل الى عالم ما وراء الطبيعة و يفسر غامض و لا يوضح لنا ما انبهم منه، و كذلك فى السمعيات او الغيبيات.

فلا بد اذن التكامل بينهما، و هذا ما يتخذ به المحاسبي منهاجا. و ان العقل لا يستغنى عن النقل، و كذا العكس.

قال المحاسبي: "العقل مضمن بالدليل، والدليل مضمن بالعقل. و العقل هو المستدل. والعيان والخبر هما علة الاستدلال و أصله".[[38]](#footnote-38)

لم يكن المحاسبي يعتمد على منهج التكامل فحسب، بل هناك شئ أهم وهو العبودية الحقة. و من جمع بين هذين المنهجين فهو على الطريق الصحيح للوصول الى المعرفة الحقة. و كانا سلاحه فى المعركة بين الطوائف المتصارعة.

ان العبودية الحقة دفعت المحاسبي الى البحث فى الاخلاص، و فى الورع، و فى الزهد، و فى الخشوع الخالص لله. ثم البحث فى أمراض النفس و دوائها ثم فى أسرار القلوب و دقائقها.

هذا الفريق الثالث سماه د. عبد الحليم محمود بالبصيريين، اى هم الذين يعتمدون على البصيرة او العقل الواعى عن الله. و العاقل عن الله لا يعتمد الا على العبودية الحقة و المنهج الصحيح فى تحصيل العلم و المعرفة، وهو منهج التكامل بين العلوم العقلية و النقلية الذى عليه علماء الأمة قديما و حديثا. و ذلك و المنهج الوسطي.

و أضاف د. عبد الحليم محمود ان هذه القوى الفكرية بقيت قوية و استمرت الى يومنا هذا.

تسلسلت فكرة المحاسبي و تمثلت خير تمثل فى حجة الإسلام أبى حامد الغزالي، ثو فى بقية الصوفية من بعده، حتى عصرنا هذا.

و تسلسلت فكرة الإمام أحمد، تمثلت فى الشيخ أحمد بن عبد الحليم المشهور بابن تيمية المتوفى 728 ه الذي وضع لها المنطق، و أرسى لها القواعد و الأصول. ثم استمرت هذه الفكرة الى يومنا الحاضر. و كان يمثلا الشيخ رشيد رضا.

اما العقليون او المعتزلة فقد تسلست و تمثلت فى الشيخ جمال الدين الأفغاني و دافعها و أحياها بعد ان كانت صامتة مدة طويلة من الزمان.[[39]](#footnote-39)

هذه النزعات الفكرية الثلاث لا تزال تستمر الى يومنا هذا، و لن تزال، اذ انها تقوم على فطر مختلفة، و هذه الفطرة ستستمر على وجه الأرض ما دام هناك أفراد من النوع الإنساني. لذا، فالكلام عن جدلية العقل و النقل لا يزال موضوعا حاميا للبحث و الدراسة.

**المطلب الثاني: مكانة العقل عند المحاسبي**

ان العقل فى فكر المحاسبي يحتل مكانة عظيمة، بحيث ان معرفة معنى العقل عنده يكشف عن أسس أفكاره. كانت النقطة الفارقة بين المحاسبي و المعتزلة فى تحديد معنى العقل. انه قام بتحليل كلمة "العقل" ليرد على المعتزلة و يوضح المفهوم الصحيح. و ألف كتابا خاصا فى ذلك، سماه "مائية العقل". فقد اتخذ الحوار اسلوبا فى كتابته حيث قال:

"سألت عن العقل ما هو؟"

و من المعروف حينئذ ان الجمهور يميل الى مذهب المحدثين أكثر مما ذهب اليه المعتزلة، رغم استفادتهم من قوة السلطان. و محنة المحدثين الى القول بخلق القرآن أكبر دليل على ذلك. فمثل هذا الإكراه لم يكن موجودا حين وافق الجمهور مذهب السلطان. فى مثل هذه الظروف يتسأل الناس، من الصواب؟ هل الصواب فيمن نصر النقل ام من يمجد العقل و يفضله؟ ثم أخذ يتسأل عن حقيقة العقل، فى الحقيقة ما هو العقل؟ و هل يتعارض العقل مع النقل؟

التساؤلات تثير البلبلة فى نفوس الجماهير، و الإجابة عنها من أهم الأمور وقتئذ. فى هذا القبيل كان كتاب العقل يأتى شفاء لنفوسهم. و قال المحاسبي معرفا للعقل:

للعقل ثلاثة معان، **أحدها هو معناه**، لا معنى غيره فى الحقيقة. يقصد بذلك العقل الغريزة التى وضعها الله فى أكثر خلقه لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحس و لا ذوق و لا طعم، و انما عرفهم الله (اياها) بالعقل منه.[[40]](#footnote-40)

و العقل فى هذا المعنى لا يعرف الا من خلال أفعال الجوارح. اذ ان الناس يعرفون ان هذا الإنسان عاقل، اذا رأوا فى أفعاله ما يدل علي ذلك. وهو ان يميز بين ما يضره و ما ينفعه. و اذا رأوه خلاف ذلك، سموه أحمق. و اذا لا يعقل ما يفعل سموه مجنونا.

**اما المعني الثاني: فهو الفهم لإصابة المعني**. يقصد بذلك البيان لكل ما سمع من الدنيا و الدين أو مس او ذاق، أو شم. فسماه الخلق عقلا، و سموا فاعله عاقلا.[[41]](#footnote-41) لذلك قال الله تعالي:

طه: 13

لذلك قال: فكل بالغ من الجن و الإنس و الذكور و الإناث ممن نها الله عنه و أمره و توعده، بإرسال النذر، و إرسال الكتب و إنزال آيات التدبر، فحجة العقل لازمة له، اذ أنعم الله عليه بالعقل عليه و معرفة البيان.[[42]](#footnote-42)

و الفهم هو الظاهرة العقلية التى تؤدى الى اصابة المعنى من ناحية، و القدرة على التعبير عن هذا المعنى بشكل من أشكال البيان من ناحية أخرى. و هذا المعنى للعقل مدار التكليف عند الإنسان. فمن لا عقل له، بهذا المعنى، ليس من المكلفين.

روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق.[[43]](#footnote-43)

قيل: "اعقل ما أقول لك".[[44]](#footnote-44)

و العقل بهذا المعني يشترك فيه اهل الإيمان و الضلال، و المطيع و العاصي وهو فهم البيان.

و الفهم عند المحاسبي ليس فهما جامدا، بل هو فهم متحرك و حي معا. فهو متحرك باتجاه الأشياء و الظواهر الموجودة فى الخارج، ما يتعلق بالحس وما يتعلق منها الدنيا، وما يتعلق منها بالآخرة. وهو حي لأنه يتصدى لأشياء موجودة، و لكل من هذه الأشياء معنى. هو أشبه ما يكون بحقيقة هذا الشيء نفسه، فإن أصابه الإنسان بعقله فقد حقق معنى الفهم و استقام البيان.

**و المعني الثالث: بمعني البصيرة او المعرفة**. و ذلك بتعظيم الأشياء النافعة و الضارة في الدنيا و الآخرة. و منه العقل عن الله تعالي.[[45]](#footnote-45)

اذا كان الفهم، عند المحاسبي، ظاهرة عقلية تتناول الأشياء فى معانيها، فإن البصيرة او المعرفة هي ظاهرة عقلية، و لكنها تختلف عن ظاهرة الفهم. اذ ان البصيرة ظاهرة النفاذ الى ما ورآء الأشياء لمعرفة قيمتها الإلهية من ناحية، و قيمتها الأخلاقية من ناحية أخرى.

فمن ذلك ان تعظم معرفته و بصيرته بعظيم قدر الله تعالي و بقدر نعمه و احسانه، و بعظيم قدر ثوابه و عقابه لينال به النجاة من العقاب، و الظفر بالثواب.

هذا هو مذهب المحاسبي فى مفهوم العقل، فقد عرف العقل من وجهات النظر المختلفة. و يرد على المعتزلة بالمفهوم الأول للعقل حيث قال:

"و قد زعم قوم ان العقل معرفة نظمها الله و وضعها فى عباده يزيد و يتسع بالعلم المكتسب الدال علي المنافع و المضر".

"و الذى عندنا انه الغريزة، و المعرفة عنه تكون".[[46]](#footnote-46)

استدل المحاسبي على هذا المعنى بقدرة الإنسان على التمييز بين مسميات الأشياء. فهو غريزة أودعها الله فى الإنسان، تنمى و تكتسب عن طريق التعلم لمسميات هذه الأشياء. و هذا واضح فى قصة الملائكة و نبي الله آدم عليه السلام حين أمره الله ان يخبر الملائكة بأسماء الأشياء، لأنه علمه اياها. أى لولا تعليمه مسميات هذه الأشياء، لم يستطع ان يخبر الملائكة فيها. و الله لا يعلم الملائكة كما علم آدم من قبل. لذا قال تعالى فى محكم تنزيله:

البقرة: 32

فلم يعرف عاقل أسماء الأشياء الا بالتعليم منذ هو الطفل لما يسمع و يرى. عرف بعقله الأشياء، و فصل بين معانيها.

لذلك رأى المحاسبي ان العقل لم يكن كافيا وحده فى معرفة الحسن و القبح. بل لا بد من المعلم يعلم الناس الحسن ليفعلوه و القبح ليجتنبوه. من أجل هذه الحكمة أرسل الله تعالى الرسول و أنزل كلام رب الغفور. وكذلك لا يرى ان النقل وحده كاف و استغنى عن العقل. اذ لا عبرة بالنقل اذا لم يكن عاقلا يقرأه و يستدل به و يفهم منه و يستنبط الأحكام من خلاله. قال فى مسألة العقل:

"الحجة حجتان: عيان ظاهر و خبر قاهر.

العقل مضمن بالدليل، والدليل مضمن بالعقل.

و العقل هو المستدل. والعيان والخبر هما علة الاستدلال و أصله.

و محال كون الفرع مع عدم الأصل، و كون الاستدلال مع عدم الدليل".[[47]](#footnote-47)

ان التضمين هنا ليس تضمينا احتوائيا، و انما تضمينا تطابقيا. لأنه قال: ان العقل مضمن بالدليل، و يقول ايضا: ان الدليل مضمن بالعقل.

و الدليل هنا إما ان يكون كونيا، أو عيانا حسب تعبير المحاسبي، و إما خبريا أى خبر صادق اى الوحي أى النقل.

من خلال هذا التحليل يمكن تقسيم ماهية العقل عند الحارث الى أمرين:

**أولا**: ان ماهية العقل هي كامنة من المعقولات التى هى الوجود الحسي المطلق من البحار و الأشجار و الأنهار و الأفلاك و الأقمار مما هو ظاهر امام أعين الناس. و ذلك لا من حيث وجوده الحسي و انما من حيث تدليله على وجود الله تعالى و على آحاديته و وحدنيته.

**ثانيا**: ان ماهية العقل هي كامنة فى الخبر الصادق أى النقل او الوحي، وهو القرآن و السنة. و معنى ذلك ان العقل مضمن بالنقل، و النقل مضمن بالعقل. اذ ان الرسول صلى الله عليه و سلم الذى جاء بالوحي لا يأتى الا مخاطبا للعقول و الألباب و الأفكار. فلا يمكن ان يتعارضا أو يتناقضا.

رغم ان العلاقة بين العقل و الدليل تضمنية تكاملية لا يعنى ان الأصل فى الاستدلال هو العقل. بل الأصل هو الدليل؛ المعقولات التى خلقها الله أى هذا الكون، و الوحي. فلو لم يكن هناك الاستدلال، فلا حاجة لوجود المستدل الذى هو العقل. أو بعبارة أخرى، العقل تابع للآية الكونية، و تابع للآية القولية. فمكانة العقل بالنسبة للدليل عند المحاسبي تعتبر فرعا له. "و محال كون الفرع مع عدم الأصل، و كون الاستدلال مع عدم الدليل".

قال المحاسبي: "لكل شيء جوهر، و جوهر الإنسان عقله، و جوهر عقله توفيق الله".[[48]](#footnote-48)

\*\*\*

**المبحث الثالث: التربية الإسلامية عند الحارث المحاسبي**

**المطلب الأول: أثر البحث العقلي فى الفكر التربوي**

ان بحث الحارث عن العقل له أثر كبير فى بناء فكره. فهو يقوم بإصلاح المجتمع فكريا و أخلاقيا. و الإصلاح لا بد ان يبدأ بالعلم الصحيح او التصور الصحيح للشيء. اذا كان العقل يعد ركنا أساسيا فى العلم و ما يتعلق به، فالبحث عن العقل و شرح الرأي الصحيح فيه من أهم الشيء. هل العقل هو المعرفة ام أداة لاكتساب المعرفة. و قد شرحنا الرأي الصحيح فى ذلك.

ان تقسيمه لمعنى العقل الى ثلاثة معان يعطى لنا الضوء عن أقسام الناس من ناحية تفعيل عقولهم. فقد قسم المحاسبي العاقلين الى اربع فرق، فرقتان مقبولتان، و فرقتان مردودتان.

اما المرفوضتان هما:

1. فرقة عقلت البيان ثم جحدت كبرا و عنادا لطلب الدنيا كما وصف عن إبليس أنه تكبر و عاند كبرا.[[49]](#footnote-49)

انهم فرقة عقلت عن الله عقل بيان، و لم يعقلوا عن الله عظيم قدرته و قدره. فلم يعرفوا عظيم قدره و قدرته، بل تكبروا بعناده و جحده، كما فعل إبليس حين أمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام. انهم عقلوا البيان أى الأمر و المأمور و المأمور له، لكن لم يعقلوا قدرالآمر. نظر الى آدم فزعم أنه خير منه لكونه خلق من نار، و آدم من تراب. ففى نظره ان النار خير من التراب. فآبى و استكبر و كان من الجاحدين.

لو كان إبليس عقل عن الله تعالى عظيم قدرته، لما كان يأبى و يجحد، بل خر لله سجدا، سمعا لأمره و طاعة و امتثالا لأمره. اذ لما كان يعقل عن الله بهذا المعنى لعرف و اعترف انه عبد خلقه لعبادته و أعطى ما لديه من قوة و فطنة للامتثال بأوامره.

1. فرقة طغت و أعجبت و قلدت فعميت عن الحق ان تتبينه ثم تقر به، ثم تجحده كبرا بعد

عقلها للبيان، فظنت انها على حق و دين و هي على باطل و شر و ضلال.[[50]](#footnote-50)

انها فرقة المقلدين لأبآئهم و المعجبين برأيهم، فلم يستخدموا الفهم و البصيرة. فلم يفهموا معنى الحياة و لم يدركوا ببصيرتهم ما وراء الحياة. فعميت أبصارهم و بصائرهم عن الحق و عن قبول الحق. ثم رفض الحق مع العلم انه هو الحق، فقد غلب عليهم التقليد و الكبر و حب الدنيا.

هؤلاء ككفار قريش لرفضهم دعوة الرسول صلى الله عليه و سلم مع علمهم انه رسول من الله تعالى أوتي بكتاب عجزوا عن الاتيان بمثله. لو تدبروا، و تركوا التقليد لأبآئهم و الاعجاب براءيهم لعقلوا آخرتهم كما عقلوا دنياهم.

اما الفرقتان المقبولتان هما:

1. فرقة عقلت عن الله عز و جل عظم قدره و قدرته، و ما وعد و توعد، فأطاعت و خشعت.

انهم فرقة عقلت عن الله تعالى فى عظيم قدرته و يتدبرون فيما أبدعه تعالى، فيعرفون قدر الأشياء فى الدنيا و الآخرة. وهم الذين عقلوا عن الله فيما و عد به المؤمنون و توعد به الكافرون.

فهم عقلوا البيان، و رأوا بأبصارهم و بصائرهم، ففهموا حقيقة الحياة و ما بعدها، فأطاعوا و خشعوا، و عملوا بكل قلوبهم مخلصين له تعالى من أجل مرضاته و نيل ثوابه.

قال تعالى:

} آل عمران: 191 {

1. فرقة عقلت عن الله عز و جل فى تدبيره و تفرده بالصنع، و عرفت قدر النجاة بالتمسك به، و قدر العقاب فى ضرره و فى مجانبة الإيمان، فلم يجحدوا كبرا و أنفة، ولا طلب دنيا لعقلها ان عاجل الدنيا يفنى و عذاب الآخرة لا يفنى. فأقرت و آمنت، و لم تعقل عظيم قدره فى هيبته..... فعصت و ضيعت و غفلت و نسيت الا انها علمت عظيم قدر الايمان فى النجاة، و عظيم ضرر الكفر؛ قد عقلته عن الله تعالى فهي قائمة به، دائمة عليه.[[51]](#footnote-51)

من خلال تقسيمه لأقسام العاقلين نرى ان الإنسان له عقل بمعانيه الثلاثة، متى اكتملت هذه العقول يتدرج الإنسان الى درجة عليا و أصبح انسانا ربانيا. وذلك مقصد اساسي للتربية الإسلامية. التربية الإسلامية ليس هدفها ترسيخ العلم فقط، وانما صنع جيل المستقبل المتزود بالعلوم و المعارف، الملم بمشكلات زمانهم و طريقة حلها، المتحلى بأخلاق سامية و أداب عالية، وفق منهج رباني و خلق نبوي محمدي.

التربية الإسلامية تربية خلقية، جسدية، تهتم بأخلاق الفرد، و تنمية القوى الجسدية و خلق المحارب، و بث روح الفضيلة و غرس الصفة الحميدة عنده، كالإخلاص و الوفاء و النجدة و كرم الضيافة.[[52]](#footnote-52)

و الإنسان بعقله، بمعنى الغريزة، يباين الفرس و البقر و القرد و غيرها، مع أن كلهم من جنس الحيوان. لذلك سمي الإنسان حيوان ناطق، أى حيوان عاقل يفكر فينطق لابداء ما فى عقله. فهذه الغريزة العقلية من لوازم المكلفين، فالتكليف يدور مع عقله وجودا و عدما، أى اذا غاب العقل عن الإنسان زال ارتفع عنه التكليف كما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم فى رفع القلم.[[53]](#footnote-53)

ثم أصبح الإنسان عالما كذلك بعقله، بمعنى الفهم لإصابة المعنى. اذ بهذا العقل تعلم الإنسان و استفهم و أدرك المعاني من خلال الألفاظ و المبانى. فعملية القرأة من مهمة هذا العقل لاكتساب العلوم و المعلومات. و كان أول ما نزل من القرآن يخاطب العقل كي يعمل بوظيفته مع خلوص النية لله تعالى و باسمه لا باسم غيره. و من العجيب ان آية (اقراء) لا يو جد فيها مفعول به. مع ان كلمة "قراءة" و تصريفاتها من الأفعال المتعدية. فما ذلك الا لوجود سر من الأسرار و معنى من المعانى الخفية يدركه من يتدبر و يتفكر فى الآية.

عدم ذكر المفعول به هنا يفيد ان الأمر بالقراءة غير محدد بموضوع معين، سواء كان مكتوبا مدونا أو مخلوقا مكونا، ما دامت قراءته باسم الله وحده. فهناك عدد غير قليل من الآية فيها الأمر بالنظر الى الإبل كيف خلقت، و الى السماء كيف رفعت، و الى الأرض كيف سطحت و ما أشبه ذلك.

ثم أصبح الإنسان عارفا كذلك بعقله، بمعنى المعرفة و البصيرة. و ذلك لا يكون الا بالتعلم و الاجتهاد العلمي فحسب، و انما بالمجاهدة و تزكية النفس. فى هذا المجال قام المحاسبي بإصلاح أخلاقي و روحاني ليرتقي الإنسان الى الدرجة العالية و المقامات السامية، أو ما يسمي بالتربية السلوكية.

انه بدأ تربيته السلوكية بتطهير النفس من الدناس و الأرجاس و حمايتها من الوقوع فى الذنوب و المعاصى مرة أخرى. و كان أول خطوة هو التوبة النصوح، و كتب رسالة موجزة سماه القصد و الرجوع الى الله.

ذكر المحاسبي ان الرجوع الى الله تعالى يعنى التوبة وهي: الندم على ما كان من الفعل القبيح، و العزم على الا يعود الى ما كان عليه من حال الإصرار على القعود، و الفزع من عارض داعي الذنب.[[54]](#footnote-54)

و أضاف المحاسبي ان العزم سيزداد قوة بالمحاسبة. وهي النظر و التثبت بالتمييز لما كرهه الله عز و جل مما أحب، ثم هي على وجهين: أحدهما فى مستقبل الأعمال، والآخر فى مستدبرها.

اما المحاسبة فى مستقبل الأعمال فقد دل عليها الكتاب و السنة.

قوله تعالى: ]آل عمران: 130 [

قوله تعالى: ]البقرة: 235[

و من السنة، ما رواه عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه و سلم: انما الأعمال بالنيات، و إنما لكل امرئ ما نوى.

هذه المحاسبة فى مستقبل الأعمال ليبصر ما يضر مما ينفعه، فيترك ما يضره على علم، و يعمل بما ينفعه على علم.[[55]](#footnote-55)

اما المحاسبة الثانية، فى مستدبر الأعمال، ليتوب الناس مما مضى من ذنوبهم و فيما مضى من أعمالهم.

قا الله تعالى: ]الحشر:18[

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى لأستغفر الله و أتوب اليه فى اليوم مائة مرة.[[56]](#footnote-56)

و اشتهر المحاسبي بكثرة المحاسبة لنفسه خوفا من الوقوع فيما لم يرض الله عنه فسماه الناس المحاسبي.

و بعد التوبة مع دوام المحاسبة، تدرج الى مقام الورع، وهو بترك ما يريبك الى ما لا يريبك.[[57]](#footnote-57)

ثم الى مقام الزهد، أى العزوف عن الدنيا، وهو ترك ما لا يعنيك. و ذلك بترك الشهوات لتستريح من ضررها، و تلزم قلبك قناعة المتخلص بنفسه من آفتها.[[58]](#footnote-58)

ولا بد للسالك ان يتحلى بصفة حميدة مثل الصدق و الإخلاص و الشكر و الرضا و ما الى ذلك ليحقق معنى التقوى و العبودية.

او يمكن تلخيص طريقة المحاسبي فى السلوك الى ثلاث كلمة: التخلى، ثم التحلى، ثم التجلى.

التخلى: تخلية النفس من الذنوب و العيوب.

التحلى: تحلية النفس بخلق حسن محبوب.

التجلى: صفاء البصيرة و معرفة علام الغيوب.

قال المحاسبي: "كل زاهد زهده على قدر معرفته، و معرفته على قدر عقله، و عقله على قدر قوة إيمانه".[[59]](#footnote-59)

**المطلب الثاني: المبادئ التربوية عند الحارث المحاسبي**

ان المتتبع لأفكار المحاسبي سيجد ان أهم شيئ يشغل باله هي قضية النجاة. افتراق الأمة سياسيا و فكريا له سهم كبير فى تكوينه العلمي بالاضافة الى حديث الافتراق. ففكر و بحث و دقق فى الأمر و رجع الى الكتاب و السنة فوجد ان سبيل النجاة التمسك بتقوى الله تعالى و اداء فرائضه و الورع فى حلاله و حرامه و جميع حدوده و الإخلاص لله تعالى بطاعته، و التأسى برسوله صلى الله عليه و سلم. ثم طلب معرفة الفرئض و السنن، فوجد ان علم الفرئض و السنن عند العلماء بالله و الفقهاء عن الله الوارعين عن محارمه المتأسين لرسوله تعالى. و كان طلبه للفرقة الناجية –تجنبا عن الصراع الفكري و المذهبي حينئذ - يحثه الى الخوض في الأمور النفسية.

وهو لا يفكر و ينظر فى المسألة ثم يسكت، و انما عمل و علّم و أصلح ما كان فى المجتمع من فساد، أخلاقيا و فكريا. وهو مربي بكل معنى الكلمة، و خرج من مدرسته التربوية علماء أجلاء أمثال الجنيد البغدادي و غيره. ثم اذا اطلعنا على مؤلفاته يمكن لنا التعرف بالمبادئ التى يعتمد عليها فى تربية الأمة. و هي: المبداء الإيماني، و المبداء العقلي، و المبداء الأخلاقي.

**أولا: المبداء الإيماني**

و هو عناية التربية بترسيخ الإيمان بالله و برسوله صلى الله عليه و سلم و بما جاء به و بما أخبر عنه فى نفوس المريدين. هذا ركن أساسي فى تكوين الشخصية المسلمة، اذ لو لا ه لما يعد الإنسان مسلما. فمعرفة الرب يقتضى الاعتراف بأن الإنسان عبد مربوب. كان هذا الاعتراف ضروري فى التربية، فالانسان المراد تربيته اذا لم يعرف نفسه و اعترف بهويته يصعب عليه تعليمه و تربيته و إرشاده.

لخطورة هذا المبداء كان المحاسبي يحاسب نفسه و يكثر المحاسبة، خوفا من الوقوع فيما لا يرضى الله تعالى. و هذا ان دل على شيء فانه يدل على قوة إيمانه و تمسكه الشديد بدينه. و كان دائما يوصى تلاميذه بأمور:

1. صدق النية

قال المحاسبي: فافحص النية وأعرف الإرادة فأن المجازاة بالنية[[60]](#footnote-60)

كان يعتمد على حديث النبي صلى الله عليه و سلم: إنما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى.

و حذر من اشراك المخلوقين فى العمل، فلا يعمل ليلتفت اليه الناس، او ليمدح او غير ذلك، و انما لمرضاة الله تعالى. و هذا ليس أمرا سهلا، بل يحتاج الى جهد و تدريب.

1. ان يزن كل أمر بميزان القرآن و السنة. هذا من أثر الإيمان بالله و برسوله و بما جا به.

قال المحاسبي فى ذلك: وكل أمر لاح لك ضوؤه بمنھاج الحق فاعرضه على الكتاب والسنة.[[61]](#footnote-61) ان عرض المسائل على الكتاب و السنة منهج الصحابة و التابعين و من بعده فى حل المشكلات. و ما ذلك الا عملا بقوله تعالى:

]النساء: 59[

كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن، قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله.[[62]](#footnote-62)

1. محبة الله تعالى

سئل المحاسبي عن علامة محبة الله عز وجل فأجاب بقوله: مرضاة الله عز وجل، والتمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.[[63]](#footnote-63)

قال تعالى: ]آل عمران: 31[

ان محبة الله ثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى. و ذلك بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه و الاقتداء بهدى نبيه صلى الله عليه و سلم.

**ثانيا: المبداء العقلي**

ان العقل أهم أساس الشخصية الإنسانية، و أنه مدار التكليف بحيث ان فاقد العقل سقط عنه التكليف الشرعي كما أسلفنا.

ان التربية الإسلامية لا بد ان تهتم بالإنسان بكل جوانبه، خاصة العقل بجميع معانيه الثلاثة كما شرح المحاسبي.

**ثالثا: المبداء الأخلاقي**

ان المحاسبي بذل كل جهده للإصلاح النفسي و الأخلاقى فى المجتمع. و رأى ان المشكلات و الأزمات فى عصره سببه غياب الأخلاق، فانتشر الفساد و حب الشهرة و المال و الجاه.

ثم نظر فى الخلق، فوجد ان للكائن من أهل السموات و الأرض ثلاثة طبائع:

* الملائكة: فقد طبعهم الله على العقول و البصائر، و جردهم عن الأهواء و الشهوات. فهم دائمون في الطاعة و لا يخطر على بالهم المعصية ابدا.
* الأنعام و الطير: و قد طبعت على ضد الملائكة. لها طبيعة شهوانية، ومعرفتها بقدر ما تتغذى وتعتاش به.
* الإنسان: هي منزلة بين المنزلتين السابقتين أخذت الأولى العقل ومن الأخرى الشهوة؛ وقد أمر الله تعالى بمجاهدة الشهوة لا القضاء عليها وذلك بتزكيتها وتهذيبها بما يطوعها لطاعته والعمل بشرعه.

لذلك رأى المحاسبي ان اول ما يجب على العبد معرفته و الفكر فيه هو العلم ان الإنسان عبد مربوب. فالله هو خالقه و ربه، و قد أمر و نهي و أعد الثواب لمن أطاعه و العقاب لمن عصاه. و لا سبيل الى النجاة في مثل هذا الا التقوى.[[64]](#footnote-64)

ثم اهتم المحاسبي بالنفس الإنسانية و تربيتها تربية فضلى على أحسن حال. و اعتمد فى تربيتها على أسلوب اتباع القول بالعمل او التوازن بين النظرية و التطبيق. انه قام بالتربية الأخلاقية من خلال اهتمام بالنفس الإنسانية، و ركز فى النفس الإنسانية و ما ينبغى لها سلوكه و ما ينبغى لها الابتعاد عنه. فتحدث كثيرا عن الزهد و الورع و الرياء و الحسد و التقوى و غير ذلك. ان الإصلاح الأخلاقى عند الحارث يبداء بالإصلاح النفسي، اذا صلحت النفس صلح الجسد كله. فارتقى الإنسان بذلك الى درجة عالية و منزلة سامية، و أصبح إنسانا كاملا فى كل جوانبه، علميا و أخلاقيا، وهو هدف التربية الإسلامية و ثمرتها المرجوة.

\*\*\*

**النتائج و التوصيات**

عالج البحث موضوعا مهما فى الفكر الإسلامي و التربوي خاصة عند الحارث المحاسبي الا وهو التكامل بين العلوم النقلية و العقلية و تطبيقاته فى التربية الإسلامية؛ دراسة فى فكر الحارث المحاسبي. شرحنا حياة الحارث المحاسبي العلمية و الفكرية و مدى تأثيره فى تكوين الجو العلمي و المعرفي فى عصره، و تأثيره فى الجيل الذى بعده. بالإضافة الى أهم أفكاره و أهم مصنفاته فى شتى ميادين العلوم. و قام الباحث بتحليل مفهوم العقل عند الحارث و الفرق بينه و بين المفهوم السائد فى عصره، و كيف كانت العلوم العقلية و النقلية فى انسجام تام، و علاقتهما علاقة التكامل و التداخل، لا التفارق و التباين. ثم بين الباحث أثر بحثه العقلى فى مجال التربية الإسلامية، مع ذكر أهم المبادئ التربوية عند الحارث المحاسبي.

و أهم النتائج التى توصل الباحث اليها ما يلي:

1. ان الحارث المحاسبي شخصية عظيمة له إسهامات كبيرة فى بناء الحضارة و الثقافة الإسلامية، من خلال معالجته للقضايا و المشكلات فى عصره. فكان مصلحا للأمة و مجددا فى علم السلوك و الأخلاق و التصوف و تربية الأمة، و مؤلفاته خير شاهد على ذلك.
2. انه قام بتصحيح المفاهيم المغلوطة فى عصره حول الدين و طريقة التدين، و نقد الأفكار المنحرفة السائدة مثل المعتزلة و الشيعة و غيرهما.
3. انه يرى ان العلوم العقلية و النقلية لا يتعارض بعضها بعضا، و أكد أن العقل غريزة يستقبل العلوم و المعارف من خلال ما جاء به الوحي أى المنقول، و النظر فى الكون. و لا يقبل قول القائل ان العقل هو عين المعرفة.
4. ان بحثه العقلى يكشف لنا عن أقسام العاقلين. فمن اكتملت عنده المعانى الثلاثة للعقل اكتملت جوانبه الإنسانية، بل بامكانه الارتقاء الى المنزلة العليا اذا تخلق بأخلاق حميدة و آداب سامية، و ذلك مع دوام المحاسبة لنفسه.
5. انه اهتم كثيرا بالأمور النفسية، فبدأ فى البحث فى عيوب النفس و الطرق المناسبة لعلاجها و تزكيتها، ثم فى أسباب ارتقاء النفس الى المرتبة العالية.
6. ان التربية الناجحة لا بد ان يبداء من النفس، فكان صدق النية فى غاية الأهمية، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حديث النية.
7. ان الإنسان يمر على ثلاث مراحل فى الارتقاء الى مقام أسمى، وهي: التخلى و التحلى ثم التجلى. التخلى عن كل الدناس و الأرجاس بالتوبة النصوح، ثم التحلى بأخلاق حميدة و آداب سامية، ثم تجلى له المعارف و العلوم و الانكشافات ما يدل على صفاء قلبه و طهارة نفسه.
8. ان المبادئ التربوية عنده تتركز على ثلاثة مبادئ، و هي: المبداء الإيماني، و المبداء العقلي و المبداء الأخلاقي.

**التوصيات:**

1. الاعتناء بمؤلفات العلماء الأقدمين و دراستها لما فى ذلك من الخير الكثير، و ان يتخذوها مصدرا لفكرهم التربوي و الإسلامي ما يلائم بيئتهم التى يعيشون فيها.
2. ان يستخلص أكبر قدر ممكن من الأسس و القواعد و الضوابط التربوية و العقدية من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم لمعالجة الآراء التربوية عند العلماء و الحكم عليها فى إطار تلك القواعد و الضوابط.
3. على الباحثين فى مجال التربية ان يبذل كل جهدهم فى تمحيص التراث التربوي، و تنقيته من الشوائب الدخيلة التى انتقلت اليه من خلال التراث اليوناني و الفارسي و غيرهما، خاصة فى مجال الفلسفة.
4. الاهتمام بالبحث فى مجال تربية النفس الإنسانية، خاصة عند الحارث المحاسبي و من سلك نهجه لأهمية هذا الجانب.

**\*\*\***

**المصادر و المراجع:**

* القرآن الكريم
* الأحاديث النبوية الشريفة
* زينة، حسني. (1978 م) العقل عند المعتزلة، ص 19، ط 1، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
* السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي. (1376 ه) طبقات الشافعية الكبرى، ط 1، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ج 2، ص 275، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
* الشلالي، هدى بنت ناصر بن محمد. (2000 م / 1420 ه) أرآء الكلابية العقدية و أثرها في الأشعرية، ص 72، دار الرشد، الرياض.

محمود، عبد الحليم. (1992 م) استاذ السائرين، ص 6، دار المعارف، القاهرة.

* المحاسبي، الحارث بن أسد. (1971 م/ 1391 ه) العقل و فهم القرآن، ط 1، تحقيق: حسين القوتلي، ص 20، دار الفكر، بيروت.
* المحاسبي، الحارث بن أسد. (1983 م / 1403 ه) رسالة المسترشدين، ط 5، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ص 16،دار السلام، القاهرة.
* المحاسبي، الحارث بن أسد. (1986 م/ 1406 ه) الوصايا، ط 1، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ص 50، دار الكتب العلمية، بيروت.

المحاسبي، الحارث بن أسد. (1986 م/ 1406 ه) القصد و الرجوع الى الله، ط 1، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ص 222، دار الكتب العلمية، بيروت.

المحاسبي، الحارث بن أسد. (2003 م) الرعاية لحقوق الله، ط 3، تحقيق: د عبد الحليم محمود، ص 49-51، دار المعارف، القاهرة.

* ناصر، إبراهيم. (1989) أسس التربية، ط 1، ص 46، دار عمار، عمان.

1. السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على. (1376 ه) طبقات الشافعية الكبرى، ط 1، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي،ج 2، ص 275، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. [↑](#footnote-ref-1)
2. المحاسبي، الحارث بن أسد. (1971 م/ 1391 ه) العقل و فهم القرآن، ط 1، تحقيق: حسين القوتلي، ص 20، دار الفكر، بيروت. [↑](#footnote-ref-2)
3. المصدر السابق: ص 12 [↑](#footnote-ref-3)
4. الشلالي، هدى بنت ناصر بن محمد. (2000 م / 1420 ه) أرآء الكلابية العقدية و أثرها في الأشعرية، ص 72، دار الرشد، الرياض [↑](#footnote-ref-4)
5. العقل و فهم القرآن: ص17 [↑](#footnote-ref-5)
6. طبقات الشافعية الكبري: ص 277 [↑](#footnote-ref-6)
7. المصدر السابق [↑](#footnote-ref-7)
8. أرآء الكلابية العقدية و أثرها في الأشعرية: ص 62 [↑](#footnote-ref-8)
9. العقل و فهم القرآن: ص 13 [↑](#footnote-ref-9)
10. المحاسبي، الحارث بن أسد. (1983 م / 1403 ه) رسالة المسترشدين،ط 5، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ص 16،دار السلام، القاهرة [↑](#footnote-ref-10)
11. طبقات الشافعية الكبري: ص 275

    غير ان ابن الصلاح يشك في صحبة المحاسبي للشافعي، اذ ان ابا منصور تفرد في هذه المسألة وهو ليس من اهل فن الترجمة. لعله ممن عاصر الشافعي وتمسك بمذهبه. [↑](#footnote-ref-11)
12. القشيري، ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن. (2001 م/ 1422 ه) الرسالة القشيرية، تحقيق: خليل المنصور، ص 33، دار الكتب العلمية، بيروت [↑](#footnote-ref-12)
13. المصدر السابق [↑](#footnote-ref-13)
14. العقل و فهم القرآن: ص 17 [↑](#footnote-ref-14)
15. أرآء الكلابية العقدية و أثرها في الأشعرية: ص 61 [↑](#footnote-ref-15)
16. رواه أبو داود و الترمذي و ابن ماجة و الحاكم. و قال: صحيح علي شرط مسلم [↑](#footnote-ref-16)
17. حديث صحيح الإسناد. رواه مسلم و ابن ماجة و الترمذي و الطراني [↑](#footnote-ref-17)
18. المحاسبي، الحارث بن أسد. (1986 م/ 1406 ه) الوصايا، ط 1، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ص 50، دار الكتب العلمية، بيروت [↑](#footnote-ref-18)
19. المصدر السابق [↑](#footnote-ref-19)
20. رسالة المسترشدين: ص 17 [↑](#footnote-ref-20)
21. المصدر السابق: ص 18 [↑](#footnote-ref-21)
22. أخرجه البيهقي في كتاب الزهد الكبير بإسناد فيه ضعف، حديث رقم: 374، ص 165 [↑](#footnote-ref-22)
23. رسالة المسترشدين: ص 18 [↑](#footnote-ref-23)
24. المصدر السابق: ص 19 [↑](#footnote-ref-24)
25. العقل و فهم القرآن: ص 24 [↑](#footnote-ref-25)
26. المصدر السابق: ص 232 [↑](#footnote-ref-26)
27. طبقاقات الشافعية الكبري: ص 278 [↑](#footnote-ref-27)
28. رسالة المسترشدين: ص 21 [↑](#footnote-ref-28)
29. المصدر السابق: ص 24 [↑](#footnote-ref-29)
30. طبققات الشافعية الكبري: ص278 [↑](#footnote-ref-30)
31. المصدر السابق: ص 279 [↑](#footnote-ref-31)
32. رسالة المسترشدين: ص 25 [↑](#footnote-ref-32)
33. طبققات الشافعية الكبري: ص 276 [↑](#footnote-ref-33)
34. رسالة المسترشدين: ص 31 [↑](#footnote-ref-34)
35. زينة، حسني. (1978 م) العقل عند المعتزلة، ص 19، الطبعة الأولي، دار الأفاق الجديدة، بيروت [↑](#footnote-ref-35)
36. المصدر السابق: ص 20-21 [↑](#footnote-ref-36)
37. المصدر السابق: ص 31-32 [↑](#footnote-ref-37)
38. العقل و فم القرآن: ص 232 [↑](#footnote-ref-38)
39. محمود، عبد الحليم. (1992 م) استاذ السائرين، ص 6، دار المعارف، القاهرة [↑](#footnote-ref-39)
40. العقل و فهم القرآن: ص 201-202 [↑](#footnote-ref-40)
41. المصدر السابق: ص 208 [↑](#footnote-ref-41)
42. المصدر السابق: ص 206 [↑](#footnote-ref-42)
43. رواه الترمذي، رقم:1423/ سنن أبى داوود رقم :4398/ سنن النسائي رقم: 3432/ سنن ابن ماجة رقم: 2041/ سنن الدارمي رقم: 2296 [↑](#footnote-ref-43)
44. العقل و فهم القرآن: ص 208 [↑](#footnote-ref-44)
45. المصدر السابق: ص 210 [↑](#footnote-ref-45)
46. المصدر السابق: ص 205 [↑](#footnote-ref-46)
47. المصدر السابق: ص 232 [↑](#footnote-ref-47)
48. المصدر السابق: ص 96 [↑](#footnote-ref-48)
49. المصدر السابق: ص 215 [↑](#footnote-ref-49)
50. المصدر السابق: ص 216 [↑](#footnote-ref-50)
51. المصدر السابق: ص 216 [↑](#footnote-ref-51)
52. ناصر، إبراهيم. (1989) أسس التربية، ط 1، ص 46، دار عمار، عمان [↑](#footnote-ref-52)
53. روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق. سبق تخريجه [↑](#footnote-ref-53)
54. المحاسبي، الحارث بن أسد. (1986 م/ 1406 ه) القصد و الرجوع الى الله، ط 1، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ص 222، دار الكتب العلمية، بيروت [↑](#footnote-ref-54)
55. المحاسبي، الحارث بن أسد. (2003 م) الرعاية لحقوق الله، ط 3، تحقيق: د عبد الحليم محمود، ص 49-51، دار المعارف، القاهرة [↑](#footnote-ref-55)
56. المصدر السابق: ص 51 [↑](#footnote-ref-56)
57. القصد و الرجوع الى الله: ص 235 [↑](#footnote-ref-57)
58. القصد و الرجوع الى الله: ص 244 [↑](#footnote-ref-58)
59. العقل و فهم القرآن، ص 96 [↑](#footnote-ref-59)
60. رسالة المسترشدين: ص 46 [↑](#footnote-ref-60)
61. المصدر السابق: ص 188 [↑](#footnote-ref-61)
62. أخرجه أحمد والدارمي وأبو داود والترمذي [↑](#footnote-ref-62)
63. القصد و الرجوع الى الله: ص 98 [↑](#footnote-ref-63)
64. الرعاية لحقوق الله: ص 47 [↑](#footnote-ref-64)